

الملتقى الإقليمي الرابع لضباط اتصال مرصد التراث العمراني والمعماري في البلدان العربية

"دور نظم المعلومات الجغرافية في

حماية التراث المعماري والعمراني في الدول العربية"

انعقد بمقر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) خلال الفترة من 13-14 ديسمبر 2018، الملتقى الرابع لمرصد التراث العمراني والمعماري في الدول العربية تحت عنوان: "دور نظم المعلومات الجغرافية في حماية التراث المعماري والعمراني في الدول العربية". وشارك في جلساته ضباط اتصال من ثماني دول عربية، إضافة إلى ممثلين عن وزارتي الشؤون الثقافية والسياحة والصناعات التقليدية، وعدد من ممثلي المنظمات الدولية والإقليمية المتخصصة في مجالات صون التراث الثقافي المعماري والحضري وتثمينه (اليونسكو، الإيسيسكو، الإيكوم العربي...) والمعهد الدولي للسلام في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، المركز الجهوي للاستشعار عن بعد لدول شمال إفريقيا، ونخبة من الأساتذة الجامعيين والمهندسين المعماريين المتخصصين في المعالم والمباني التاريخية، والخبراء في التاريخ وعلوم الآثار وعلى رأسهم الخبير الدولي الدكتور منير بوشناقى .

أشرف على افتتاح الملتقى يوم الخميس 13 ديسمبر 2018 على الساعة العاشرة صباحا، معالي الدكتور محمد زين العابدين، وزير الشؤون الثقافية بالجمهورية التونسية والسيد الشاذلي بوعلاق، والي تونس، والدكتورة حياة القرمازي، مدير إدارة الثقافة بالألكسو. وتميّزت الجلسة الافتتاحية بحضور ممثلي البعثات الدبلوماسية المعتمدين بتونس، وممثلين عن المجتمع المدني وعن وسائل الإعلام وأيضا طلبة المدرسة الوطنية للمهندسين بتونس.

وفي كلماتهم الافتتاحية بهذه المناسبة، أجمع كل من وزير الشؤون الثقافية بالجمهورية التونسية، وسعادة المهندس كريم الهنديلي، ممثل منظمة اليونسكو، وسعادة الأستاذ بلال الشابي، ممثل منظمة الإيسيسكو، وأيضا سعادة الأستاذ نجيب الفرجي، مدير المعهد الدولي للسلام، على أن صون التراث المعماري والعمراني من المسؤوليات الموكولة للحكومات وللمنظمات المتخصصة وكذلك للقطاع الخاص، ولا بدّ أن تحتلّ أولويّات اهتماماتهم. كما أكدوا على ضرورة وضع سياسات ثقافية جديدة تقوم على مبدأ الاستثمار في الثقافة لتكون قطاعا مربحاً. وأشاروا إلى ضرورة التصدي للمخاطر التي تُهدّد تراثنا الثقافي جرّاء النزاعات المسلّحة والاتّجار غير المشروع بالتّراث، والتأويل الخاطي للدين.

وبدورها أكّدت الدكتورة حياة القرمازي في تدخّلها على أهميّة مشروع مرصد التراث المعماري والعمراني في حماية وصون التراث الثقافي في البلدان العربية، داعية مُمثلي الدول والخبراء ومُمثلي المجتمع المدني للالتفاف حول هذا المشروع العربي من أجل المحافظة على مخزوننا التراثي وتوظيفه في التّمنية المستدامة التي تُؤمن بالإنسان وقدراته الإبداعية، وبالسلام كشرط أساسي للعيش السلمي مع الآخر لتحقيق الازدهار.

ترأست جلسة العمل الأولى الدكتورة حياة القرمازي، مديرة إدارة الثقافة وخصّصت هذه الجلسة لمناقشة الموقف التنفيذي من توصيات الاجتماعات السابقة، وبعد الاستماع إلى ضابطي الاتصال عن دولة ليبيا، وعن المملكة الأردنية الهاشمية، ناقش المشاركون أهم أسباب تعثّر سير عمل هذا المشروع، من ذلك مشكل التّواصل بين ضباط الاتصال، وعدم وضوح فلسفة إنشاء المرصد، وأيضا عدم وجود التمويل الكافي لتنفيذ بعض ما ورد في توصيات الاجتماعات السابقة. وقد أكّد الحاضرون في هذا السياق على ضرورة التركيز على الأولويات لإنجاح مشروع المرصد حتى يتمكّن من افتكّاك دوره في عمليات الصّون، وإعمار المدن المتضرّرة جرّاء النزاعات المسلّحة في بعض الدّول العربية (العراق، ليبيا، اليمن...).

خلال الجلسة الثانية، والتي خصّصت للنظر في "رؤية جديدة لتفعيل المرصد"، أشار المهندس كريم الهنديلي إلى ضرورة اعتماد الخطة الحضرية الجديدة المعتمدة في أهداف التّمنية المستدامة 2030، التي تنصّ على إدراج الثقافة، باعتبارها عنصراً ذا أولوية في الخطط والاستراتيجيات الحضرية، والمبادئ التوجيهية لتحديد المناطق، وقوانين البناء، والسياسات الإنمائية التي تحمي مجموعة متنوّعة من التراث الثقافي المادي وغير المادي والمناظر الطبيعية. وأكّد

الحاضرون جميعا في تدخلاتهم على مكانة الثقافة في التنمية، ودعوا إلى ضرورة تفعيل هذه النظرة الجديدة التي يجب أن يكون أساسها إشراك القطاع الخاص (السياحة، القطاع البنكي...) وعدم التعويل فقط على دور الدولة. كما أكدوا على ضرورة أن يكون المرصد آلية لمتابعة المواقع الأثرية، والمدن التاريخية والتطور العمراني، ووسيلة للتخطيط العمراني الذي يراعي الجمع بين الماضي والحاضر برؤية واضحة تأخذ بعين الاعتبار المعادلة بين المحافظة على التراث وتوظيفه في التنمية.

وخلال هذه الجلسة تقدّم ضابط اتصال دولة ليبيا بمقترح "نظام داخلي لاجتماعات مرصد التراث المعماري والعمراني"، ارتأى المشاركون تعميمه على ضباط الاتصال لإبداء الرأي بشأنه، ومن ثم اعتماده.

خلال الجلسة المسائية، وبالتطرق إلى دور التراث العمراني والمعماري في تنفيذ أهداف التنمية المستدامة 2030، قام المهندس كريم الهنديلي بتقديم عرض حول متابعة التقرير الذي عرضته منظمة اليونسكو على المؤتمر العالمي الثالث للإسكان (كيتو 2016)، وأشار إلى الاستراتيجية العربية للإسكان والتنمية التي تضمنها هذا التقرير، والتي يمكن من خلالها بلورة إطار عمل يسعى لتعزيز رؤية المنطقة العربية للتنمية الحضرية، وتقديم تصوّر لتنفيذ الخطة الحضرية الجديدة التي اعتمدها المؤئل الثالث، بالإضافة إلى ما تنصّ عليه أهداف التنمية المستدامة، وبالأخصّ الهدف الحادي عشر وغيره من الأهداف المعنيّة بالمناطق الحضرية، وركّز المهندس كريم الهنديلي على إعلان كيتو للإسكان والتنمية الحضرية المستدامة الذي يؤكّد على ضرورة ان يتمّ إيلاء اهتمام خاصّ بالمدن المتأثرة بالنزاعات والحروب والعنف والإرهاب، لا سيما المدن الأثرية التي تتعرّض إلى نهب وتدمير مُمنهج يهدف إلى تزوير التاريخ، والقضاء على رموز الهويّات الثقافية، لخلق واقع جديد بدون ذاكرة.

وأثناء النقاش، ركّز المشاركون على أهمّ الإشكاليات التي تُواجه المعالم التاريخية في المناطق الحضرية بسبب الهزّات الأمنية المُشار إليها سابقا، وكذلك بسبب تغيّر النمط السكّاني للمباني التاريخية، وغياب النصوص القانونية التي تحمي هذا التراث في بعض البلدان العربية، إضافة إلى غياب الوعي بقيمة هذا التراث المعماري.

ثمّ تمّ التطرّق إلى مناقشة دور المنظمات العربية والإقليمية في دعم عمل المرصد. وفي هذا السياق قدّم ممثل الإيسيسكو عرضاً حول جهود المنظمة الإسلامية في مجال المحافظة على التراث المعماري بالدول الإسلامية. وبدورها قامت ممثلة الإيكوم العربي بتقديم جهود المنظمة في مجال حماية المتاحف وتأمين دورها في المحافظة على التراث وصون الذاكرة، وما تؤديه من دور بيداغوجي للناشئة، بهدف توعيتها بأهمية التراث الثقافي كرمز للهويّة ورافد للتنمية. وركّزت المتحدّثة على دور المتاحف في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في إطار السياحة الثقافية.

وأكد المشاركون في هذا السياق، على ضرورة تكثيف التواصل بين الألكسو ونظيراتها من المنظمات المتخصّصة كاليونسكو والإيسيسكو، والمراكز الإقليمية والدولية المعنية بصون التراث الثقافي، لإمكانية الخروج بنتائج ملموسة تخدم الشأن الثقافي وتُفعل عمل المرصد.

وفي اليوم الثاني، وخلال الجلسة التي خُصّصت لمناقشة المرصد كآلية لتسهيل تسجيل المدن التاريخية في الدول العربية على لائحة التراث العالمي، قدّم الدكتور منير بوشناق عرضاً حول الزيارة الميدانية التي قام بها في شهر أكتوبر 2018، إلى مدينة أريحا التاريخية، في إطار البدء في إجراءات تحضير ملفّ ترشيح هذه المدينة على لائحة التراث العالمي، وتولّى التعريف بأهمّ المواقع والمعالم بها، كقصر هشام، وأكبر لوحة فسيفساء موجودة به، وتل السلطان وقصر هيرودس والعمارة الطينية....، كما عرّج على المشاكل التي قد تُعيق عمليّة الإدراج على لائحة التراث العالمي، والتي تتعلق بشكل أساسي بالتخطيط العمراني في المدينة، و ببعض المشاريع الاستثمارية المجاورة للمواقع الأثرية (فندق، التليفريك...). وأثار العرض قدّمه الدكتور بوشناق نقاشاً مستفيضاً، عرض خلاله المشاركون بعض الحلول والمقترحات الجديدة لتفادي كلّ المصاعب التي قد تُعيق تسجيل هذه المدينة التاريخية على لائحة التراث الإنساني.

ثمّ تمّ عرض المنصّة الإلكترونية لمرصد التراث المعماري والعمراني التي أنشأتها المنظمة، وفي هذا الصّدّد أكد المهندس سليم قاسم أنّ هذه المنظومة صُمّمت لتكون فضاء تشاركياً، يسهّل عملية التواصل بين ضباط الاتصال، لإثراء الصفحات التي خُصّصت لكل دولة وتأثيرها بالبيانات اللازمة على غرار الأطر القانونية والتشريعية لحماية التراث المعماري في كلّ دولة. وتُسهّل هذه المنظومة عملية إدراج المعالم التاريخية على سجلّ التراث المعماري في البلدان العربية ومنه على قائمة التراث العالمي لليونسكو، كما تُتيح هذه المنصّة فرصة تبادل الخبرات في مجالات الصّون والتنميين وإعداد ملفّات التسجيل.

وبالانتقال إلى الموضوع الرئيسي لهذا الاجتماع والمُتمثّل في "نظم المعلومات الجغرافية ودورها في توثيق التراث المعماري والعمراني وصونه وتوظيفه"، قام كلّ من ممثلة مركز الاستشعار عن بعد لدول شمال إفريقيا، المهندسة لمياء الخميري، والدكتور عماد هاني إسماعيل، الخبير الدولي من جمهورية العراق، بتقديم آلية عمل منظومة GIS وإبراز مدى نجاعتها في سياسات التعامل مع المناطق التاريخية والأثرية، سواء لحماية المهذّدة منها بالخطر، أو لإدماجها في الحياة الاقتصادية.

وفي الجلسة المسائية من اليوم الثاني، تمّ التطرّق إلى آليات التسجيل في سجلّ التراث العمراني في البلدان العربية، من خلال مناقشة نموذج الاستمارة التي سبق تعميمها على الدول العربية من قبل المنظمة، وأكّد المشاركون أن المعلومات التي توفرها الدول للسجل العربي، تمهّد لتقديم الملفات للترشيح على قائمة التراث العالمي. وقد أثّرت بعض الإشكاليات في هذا الشأن، من ذلك عدم التوازن على مستوى الملفات المقدّمة بين التراث الثقافي والتراث الطبيعي، وكيفية التصرف في المعالم التي تكون على ملكية الخواص...

ثمّ، وبالتطرّق إلى دور التراث المعماري والعمراني في تحقيق السلام والوئام الاجتماعي، أكّد الأستاذ نجيب الفرجي، مدير المعهد الدولي للسلام، أنّ التراث المعماري، باعتباره ملكية مشتركة بين المجموعة الوطنية على اختلاف انتماءاتها ومعتقداتها، عامل مساهم في تطوير العلاقات والحوار بين الأفراد والمجموعات والأقاليم، كما يحوي هذا المجال بعدا إنمائيا ومضمونا اقتصاديا يجب الاستثمار فيه لإدخاله في الدورة الاقتصادية لتحقيق التنمية الاجتماعية الي تُعتبر شرطا رئيسيا لتحقيق السلم.

وفي اختتام الملتقى أكّدت مُديرة إدارة الثقافة في الألكسو، على ضرورة أن تتكاتف جهود الجميع لإنجاح مشروع المرصد، الذي يُعالج تراثا حياّ مُتحوّلا لصيقاً بالإنسان، وإلى تفعيل النظرة الجديدة للتراث الحضري بجميع مكوناته. ودعت إلى العمل على إدماج هذا النوع من التراث الثقافي في السياسات الإنمائية في الدّول، وإلى حسن توظيفه في ظلّ هذه الظروف الدّقيقة، ليكون، أوّلا وقبل كلّ شيء، رسالة سلام للجميع لتحقيق الازدهار.

وانتهى المشاركون في الملتقى إلى تقديم التوصيات التالية:

- 1- مراجعة مسودة النظام الداخلي للمرصد التي قام بعرضها ضابط اتصال دولة ليبيا، خلال فترة لا تتجاوز الشهر الواحد من تاريخ تعميمها على جميع ضباط الاتصال لاعتمادها.
- 2- دعوة ضباط الاتصال للإسراع في تقديم ترشيحات دولهم لإدراجها في سجلّ التراث العمراني في الدول العربية.
- 3- إعداد وتقديم مشروع نموذجي مرفق بدراسة جدوى اقتصادية لمشروع المرصد وبحث إمكانية توفير تمويل ذاتي له.
- 4- إعداد قاعدة بيانات للتراث المعماري والعمراني في البلدان العربية، باستخدام نظام GIS.
- 5- الدعوة إلى توحيد الجهود المبذولة لحماية التراث الحضري، بين الألكسو - من خلال مرصد التراث المعماري والعمراني- والإيسيسكو - من خلال مكتب اليقظة بها- وتكثيف التعاون بين المنظمتين عبر تنفيذ عدد من الأنشطة ذات الصلة، تُحددها اللجنة المشتركة بين الألكسو والإيسيسكو.
- 6- التعريف بالمرصد ضمن نوادي التراث والآثار بالمعاهد والجامعات في جميع البلدان العربية.
- 7- إيلاء التراث المعماري والعمراني نفس الأهمية التي يوليها الجميع لغيره من أنواع التراث الأخرى كالمواقع الأثرية والقطع المتحفية.
- 8- إقامة الطبعة الثانية للمؤتمر الدولي حول "التراث المعماري والعمراني لمنطقة البحر الأبيض المتوسط" بالشراكة مع الألكسو.

قائمة المشاركين

في الملتقى الرابع لمرصد التراث العمراني والمعماري في البلدان العربية

ضباط الاتصال:

الدولة	الاسم
المملكة الأردنية الهاشمية	الدكتور محمد عيسى الشبلي
الجمهورية التونسية	المهندس عدنان بن نجمة
المملكة العربية السعودية	المهندس سعد صالح الحزيم
جمهورية العراق	المهندسة مها سعيد هادي
دولة فلسطين	المهندس ايهاب حاج داوود
دولة قطر	المهندس بدر التميمي
دولة الكويت	المهندسة زهراء علي بابا
دولة ليبيا	المهندس محمد علي الصرمان

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

الدولة	الاسم
مديرة إدارة الثقافة	الدكتورة حياة القرمازي
مرصد الألكسو	المهندس سليم قاسم

المشاركون:

الاسم	الصفة
المهندس منير بوشناقى	خبير دولى
المهندس كريم الهنديلى	ممثل مكتب اليونسكو فى الرباط
الأستاذ نجيب الفريجي	مدير المعهد الدولى للسلام للشرق الأوسط وشمال إفريقيا
الأستاذ بلال الشابى	ممثل منظمة الإيسيسكو
الدكتور عماد هانى إسماعيل	مهندس معمارى خبير
الدكتور مصطفى الخنوسى	خبير فى التراث الثقافى
المهندسة لمياء الخميرى	المركز الجهوى للاستشعار عن بعد لدول شمال إفريقيا
المهندسة لمياء الفارسى	الايكوم العربى
الأستاذة سامية الحمامى	مديرة بوزارة الشؤون الثقافىة
الأستاذة ريم بن الصغير	وزارة السياحة والصناعات التقليدية
المهندسة سلوى الطرابلسى	مهندسة معمارية
الدكتور فتحي الجراى	أستاذ جامعى
الأستاذ محمد الحبيب الكراى	باحث فى مجال التعمير
المهندس محمد العيارى	عمادة المهندسين التونسيين
الدكتورة آمنة بامون	رئيس المؤتمر الدولى الأول حول التراث المعماري والعمراني لمنطقة البحر الأبيض المتوسط.
الأستاذ عصام صالح	سفارة جمهورية مصر العربىة